المحظور اللغوي في معجم جمهرة اللغة لابن دريد (ت321ه)

Prohibited language in lexicon of Ibn Duraid(v. 321 e)
(JAMHARATU- ALLUGHA)

د. زهرة طاهر جبار
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة-عين الدفلى(الجزائر)
zahradjebar1982@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/04/26 تاريخ القبول:2018/07/28 تاريخ النشر: 2018/12/01

ملخص البحث:

استأثر المحظور اللغوي بآراء العلماء القدامى والمحدثين، تلك الألفاظ التي يتم تجنبها في سياقات معينة، واستبدال ألفاظ أخرى بها فتناولوها بالدراسة بمصطلحات عدة، ومن الأسباب التي تقف وراء جعل لفظ معين من المحظور اللغوي أسباب ترجع إلى الثقافة العربية الإسلامية وذلك لأن اللغة تتأثر بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها، والحظر اللغوي أمر معروف في جميع لغات العالم وليس قصرا على واحدة منها، والعوامل الداعية إليه كثيرة منها: النفسية والدينية والاجتماعية واللغوية.

ويعد هذا البحث دراسة للمحظور اللغوي عند أحد أشهر مؤلفي المعاجم اللغوية في القرن الثالث الهجري (محمد ابن دريد الأزدي العماني ت 321ه) من خلال معجم جمهرة اللغة والذي يقع في ثلاثة أجزاء، فقد احتوى على العديد من الألفاظ المحظورة المختلفة في ثناياه.

الكلمات المفتاحية: الحظر ; المحظور اللغوي ; جمهرة اللغة ; ابن دريد الأزدي ; عوامل الحظر اللغوي.

Summary:

The linguistic prohibition is based on the views of the old and modern scholars, those words that are avoided in certain contexts, and the replacement of other words with them, which they deal with in several terms. One of the reasons behind making a particular term from the forbidden language is due to the Arab Islamic culture because the language is influenced by the civilization and systems of the nation Its traditions, beliefs and trends. The language ban is known in all the languages of the world and not exclusively on one of them, and the factors calling for it are many: psychological, religious, social and linguistic.

This study is a study of the linguistic prohibitions in one of the most famous authors of the dictionaries of the third century AH (Muhammad Ibn Duraid Al-Azdi Omani v. 321 e) through the Dictionary of the population of the language, which is located in three parts, it contains many of the different prohibited words in its folds.

Key-words: Prohibition; language prohibitions; language population; Ibn Duraid al-Azadi;, language barriers.

البحث:

استأثر المحظور اللغوي باهتمام العرب القدامى والمحدثين، تلك الألفاظ التي يتم تجنبها في سياقات معينة واستبدال ألفاظ أخرى بها وتناولوها بالدراسة تحت مصطلحات عدة وسنقوم في هذا البحث بتتبع

مفهوم المحظور اللغوي، وأهم المصطلحات التي استخدموها للتعبير عن هذا المفهوم بادئين بالقديم منها بالحديث.

01-الحظر: الدلالة اللغوية ودوائر الاستعمال: كلمة (الحظْر) بنية ثلاثية من الأحرف (ح ظ ر) يدور معناها اللغوي على المنع والحجْر.[1] ومنها كلمة (الحظيرة) للماشية ونحوها تُحبس فيها وسياج ونحوه، فيحال بينها وبين الخروج من الحظيرة أو الاعتداء عليها من خارجها لوجود المانع، ولهذا قال ابن منظور: "كلّ ما حال بينك وبين شيء، فقد حَظَرَه عليك".[2] فلأصل المعنى راجع إلى المنبع، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وما كان عطاء ربك محظورا**﴾ **[الإسراء: الآية20]**، أي ممنوعا والمصدر الشائع استعماله (حظْر)، وورد (حِظار)، ومنه قول العرب: لا حظار على الأسماء،[3] و(المحظور) اسم مفعول من الحظر.

ولعملية الحظر ثلاثة أركان لا يكون الحظر إلاّ باجتماعها وهي:

أولا: الحاضر، وهو الذي يحظر الشيء لعلة قد يصرّح بها، وقد يضمرها كما قد يكون الحاضر شخصية حقيقية أو اعتبارية على سبيل الجهة أو السلطة.

ثانيا: المحظور، وهو الشيء المنهي عنه من الحاضر فعلا أو وقوعا أو ارتكابا و ما شابه، وعادة ما يتولى الحاضر بشكل ما التنبيه إلى المحظور.

ثالثا: المحظور عليه وهو المعنيّ بالحظر، فلا يشمل الحظر غيره.

وقد انتقل مفهوم الحظر إلى كثير من مجالات الحياة فهناك حظر اجتماعي وحظر اقتصادي، وحظر سياسي، وحظر قانوني، وحظر رياضي، وحظر صحي، وحظر مهني و حظر ثقافي وحظر ديني، وحظر لغوي... إذ الحظر قيد على الحرية المطلقة، ولهذا قد يكون إيجابيا كالحظر الصحي على المصابين بالأمراض الحظرة حماية لسائر المجتمع، كما قد يكون سلبيا كالحظر الصحي على المحتاجين للأدوية التي تعالج بها الأمراض غير الخطرة عقابا لهم أو لغيرهم.

لكن أقرب دائرة معرفية إلى مفهوم الحظر في المستويات الاصلاحية في اللغة العربية هي الدائرة الدينية، فقد نص ابن منظور، والسيوطي، والمناوي، والتهانوي والزبيدي على أن المحظور يستعمل في الثقافة الإسلامية بمعنى المحرّم أو الحرام في مقابلة المباح،[4] ومن هنا جاءت القاعدة الفقهية في أصول الفقه الإسلامي بأنّ الضرورات تُبيح المحظورات، ولهذا تساوى مفهوم المحرم والمحظور في معجم الفقهاء، في تعريف المحرّم: " أنّه ما يثاب تاركه ويعاقب فاعله".[5] وقال في تعريف المحظورات: "إنها ما يثاب تاركها ويعاقب فاعلها".[6]

02-المحظور اللغوي في التراث العربي: لعل أول إشارة إلى المحظور اللغوي في التراث العربي جاءت في مطلع القرن الثالث الهجري عند الفراء (207ﻫ) تحديدا، "إذ تعرض بالتفسير لقوله تعالى: ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى**﴾". قائلا، والمعنى في قوله: (وإنّا أو إيّاكم) إنّا ضالون أو مهتدون، وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون وهو يعلم أنّ رسوله المهتدى وأنّ غيره الضال (الضالون)، فأنت تقول في الكلام للرجل، إن أحدنا الكاذب، فكذبته تكذيبا فكذبته تكذيبا غير مكشوف، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثيرا أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف... ومن كلام العرب أن يقولوا: قائله الله ثم يستقبحونها فيقولون كاتعه ويقولون: جوعا: دعاء على الرجل، ثم يستقبحونها فيقولون جودا..."[7]

من هذا النص نلاحظ أنّ العرب تكره التلفظ ببعض الألفاظ أو تستقبحها فتلجأ إلى استخدام ألفاظ أخرى بديلة عنها، "كما يحدث في الدعاء على الشخص بالقتل أو الجوع أو الهلاك، ويلاحظ على المحسنات الواردة في النص أن التحسين فيها ثم عن طريق التعبير الصوتي لبعض أصواتها، فالقاف في قائله الله تحوله إلى كاف وتغيرت اللام إلى عين فصارت العبارة (كاتعه الله)، والعين في جوعا تبدلت إلى دال أو سين فصارت الكلمة جودا أو جوسا".[8]

فالفراء لم يضع ألفاظا أخرى بديلة عن الألفاظ المحظورة وإنما رأيناه يغير في أصوات الألفاظ فقط والدليل على ذلك: (قاتله / كاتعه) (جوعا / جودا).

ويأتي الجاحظ (255ﻫ) ليشير إلى المحظور اللغوي بمصطلح الكناية، حيث قال: قال تعالى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ **[المؤمنون: الآية5]**، وقوله تعالى: ﴿**ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها**﴾**[التحريم: الآية12]** إنها كناية عن العورة، ولما كثر في الكلام. قال بعض المفسرين إنه يحتاج إلى كناية فقال في قوله تعالى: ﴿**وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا** ﴾ **[فصلت: الآية21]** إنها كناية عن الخروج.[9]

يلاحظ أن الجاحظ يدرك تماما أن تحول المحظور اللغوي إلى لفظ شائع يستدعي ما يتضمنه من معنى لسرعة، فهذا يؤدي إلى استبداله بلفظ آخر، فالفروج استخدمت بمعنى العورات وأكثر هذا الاستخدام في الجماعة اللغوية فاستخدمت كلمة الجلود للدلالة على العورات بدلا من الفروج.

أما المبرد (ت285ﻫ)يتناول بإيجاز لمحات عن المحظور اللغوي ضمن مصطلح الكناية "وقد قسمنا إلى ثلاثة أنواع: التعمية أو التغطية، والرغبة عند اللفظ التخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره والتفخيم التعظيم".[10] وقد جعل النوع الثاني أحسن هذه الأنواع، بحيث قال: "ويكون من الكناية وذلك أحسنها: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال تعالى: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ **[البقرة: الآية187]**، وقال: ﴿**أو لامستم النساء**﴾ **[النساء: الآية43]**، ومن ذلك قولهم جاء فلان

من الغائط، كناية عن الحدث، وقال تعالى في المسيح ابن مريم وأمه، صلى الله عليها: ﴿**كانا يأكلان الطعام**﴾ **[السورة: الآية00]**. وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة..."[11]

يتضح من خلال نص المبرد أنه يشير إلى المحظور اللغوي بمصطلح اللفظ الخسيس المفحش فيأتي بآيات قرآنية للتدليل عليه وكأنّه يعرّف المصطلح من خلال هذه الأمثلة.

ويذكر ابن الفارس (395ھ) مصطلحي الكناية وتحسين اللفظ قائلا "الكناية له بابان أحدهما أن يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ أو إكراما للمذكور وذلك كقوله تعالى ﴿**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** ﴾ **[فصلت: الآية21]**، قالوا إنّ الجلود في هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان، وكذلك قوله تعالى: ﴿**ولكن لا تواعدوهن سرًّا** ﴾ **[البقرة: الآية235]**، إنّه النكاح، وكذلك قوله تعالى: ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط** ﴾ **[النساء: الآية43]**، والغائط مطمئن من الأرض كّل هذا تحسين اللفظ.[12]

أمّا في القرن الخامس الهجري فيأتي الثعالبي (429ھ) ويهتم اهتماما ملحوظا بالمحظور اللغوي، حتى أنّه يعقد فصلا في فقه اللغة وسر العربية "في الكناية كما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه"[13] وهو يقصد بمصطلح (ما يستقبح ذكره) المحظور اللغوي، ويورد في هذا الفصل أمثلة قليلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال العرب،[14] لكنه لم يكتفي بذلك إحساسا منه بأهمية هذا الموضوع. فإذا به يؤلف كتابا يختص بالمحظور اللغوي والمحسن اللفظي يحمل عنوان "الكناية والتعريض".[15]

يقدم في هذا الكتاب دراسة للحالات الدلالية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في اللغة العربية بداية من العصر الجاهلي مرورا بفترة صدر الإسلام والعصر الأموي وانتهاء بالفترة التي عاشها هو في العصر العباسي، ويقدم شواهد متنوعة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وأقوال العرب. وقد ذكر الثعالبي في مقدمته: "هذا الكتاب خفيف الحجم، ثقيل الوزن، صغير المحرم، كبير الغنم في الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره أو يستحيا من تسميته، أو يتطير منه أو يسترفع ويصان عنه بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى وتفصح عن المغزى، وتحسن القبيح، وتلطف الكثيف، وتكسو المعرض الأنيق"[16]. نلاحظ من خلال نص الثعالبي أنه يعدد أسباب الحظر اللغوي والتحسين اللفظي.

وتناول الجرجاني (ت482ھ)المحظور اللغوي والمحسن اللفظي بالدراسة وأفرد لذلك كتابا بعنوان: (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء)وهو دراسة عن المجالات الدلالية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في اللغة العربية لدى الأدباء والبلغاء بشكل خاص، حيث قال: "واعلم أن الأصل في الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التي تستر عن العيون عادة، من نحو قضاء الحاجة والجماع بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها تنزها عن إيرادها على جهتها، وتحرزا عما وضع لأجلها، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها. فالكناية

عنها حرز لمعانيها. قال تعالى: ﴿**ولكن لا تواعدوهن سرا** ﴾ فكنى عن الجماع بالسر لأنه يكون بين الآدميين على السر غالبا".[17]

وقد لخص الجرجاني أسباب الحظر اللغوي والتحسين اللفظي في اللغة العربية بقوله: "التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة وإبدال ما يفحش ذكره في الأسماع بما لا تنبو عنه الطباع... ومنها ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو أجمل منه، كقولهم: لعق فلان أصبعه، واستوفى أكله، ولحق باللطيف الخبير، يكنون به عن الموت، فعدلوا إلى هذه الألفاظ تطيرا من ذكره بلفظه وكقولهم للمهلكة مفازة لا تفاؤلا بذكرها، ومنها الكناية عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها، كما قيل للحائك: ما صناعتك؟ قال: زينة الأحياء وجهاز الموتى... ومنها: القصد إلى الذم بلفظ ظاهرة المدح كقول العرب: أرانيه الله أغرَّ محجلا، أي: مقيدا، فظاهر اللفظ المدح وباطنه الذم... ومنها التوسع في اللغات والتفنن في الألفاظ والعبارات".[18]

وتحدث الزركشي (ت794ﻫ) في القرن الهجري عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي ضمن مصطلحي الكناية وتحسين اللفظ، وقد جعل من أسباب الكناية "ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه، كقوله تعالى: ﴿ **إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة** ﴾ **[ص: الآية23]**، فكنى عن المرأة بالنعجة، كعادة العرب أنّها تكنى بها المرأة".[19]

ويشير الزركشي إلى تداخل المحظور اللغوي والمحسن اللفظي وتحول المحسن اللفظي إلى محظور لغوي بمرور الوقت لكثرة استعماله، كقوله تعالى في مريم وابنها﴿**كانا يأكلان الطعام** ﴾ فكنى بأكل الطعام عن البول والغائط لأنهما منه سيان. إذ لابد للأكل منهما. لكن استقبح في المخاطب ذكر الغائط فكنى به عنه، فإن قيل: فقد صرح به في قوله تعالى: ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط**﴾ قلنا لأنّه جاء على خطاب العرب وما يألفون، والمراد تعريفهم الأحكام، فكلن لابد من التصريح به، على أنّ الغائط أيضل كناية عن النجر، وإنما هو في الأصل اسم للمكان المنخفض من الأرض وكانوا إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى منخفض من الأرض فتسمى به لذلك، ولكنه كثر استعماله في كلامهم، فصار بمنزلة التصريح".[20]

أمّا في العصر الحديث فقد مال المحظور اللغوي نصيبا من اهتمام اللغويين العرب المحدثين فنجد علي عبد الواحد وافي فيترجم مصطلح (Tabou) إلى اللامساس والتابو، وذلك أثناء تعرضه لأسباب التحريم في الزواج بين الأقارب، وتحريم لمس المرأة الأشياء أثناء حيضها ونفاسها عند القبائل البدائية أو العشائر البدائية.[21]

يتضح من خلال هدا النص أنّ عبد الواحد وافي استعمل الألفاظ الدال على المحظور اللغوي، ولكن من الجانب الاجتماعي وليس على المستوى السياق.

ويورد محمود السعران مصطلحي الكلام والحرام للدلالة على المحظور اللغوي كترجمة المصطلح (Tabou)، وذكر أنّه: "لا يخلو مجتمع إنساني من تحريم موضوعات معينة ومن تجنب بعض العبارات والكلمات المتعلقة بهذه الموضوعات.[22]

كما تحدث عن أسباب الحظر اللغوي قائلا: "وما من شك في كثير من دواعي تجنب بعض العبارات والكلمات وإخفاؤها راجع إلى الثورات وفي الأغلب أن بسببها البعيد كان الخوف من بعض القوى المنظورة كالأرواح وطائفة من المقدسات عندما كان يظن أنها تتصرف في حياة الناس، وأنّها قادرة على أن توقع بهم الضر، واستمر أثر هذا الخوف القديم قائما في نفوس أكثر البشر، كما أن الإعتقاد القديم بأنّ لبعض كلمات اللغة قوى سحرية ذو دخل كبير في هذا الشأن".[23] نلحظ أنّ محمود السحران تكلم عن المجالات الدلالية للمحظور اللغوي وجعلها مقصورة على الموت والأمراض والأرواح الشريرة وبعض الوظائف الفزيولوجية للجسم وهي الوظائف الجنسية والأعضاء الجنسية.[24]

ويشير أحمد محمد قدور إلى المحظور اللغوي بمصطلح الفرنسي (Tabou) إذ قال: "وتدعو أسباب نفسية متنوعة إلى تجنب الكثير من الألفاظ حياء أو خوفا أو دفعا للتشاؤم، ويطلق على هذا النوع في اللغة وعلم النفس مصطلح (Tabou) ويدل على المحظور والممنوع، وهناك أمثلة كثيرة كالعدول عن التلفظ بمفردات الأمراض والعاهات والموت، واستحداث مفردات أخرى قد تدل على النقيض، وفي العربية الفصحى استعمالات من هذا النوع. فقد أطلق العرب على الأعمى كلمة البصير وعلى الصحراء المهلكة كلمة مفازة".[25]

نستخلص من خلال قوا أحمد محمد قدور أن أسباب الحظر اللغوي مقصورة على أسباب نفسية وهي الحياء أو الخوف أو دفع التشاؤم.

ويحدد إبراهيم أنيس المجالات الدلالية المحظور اللغوي ويحصرها في الكلمات المعبرة عن الأعضاء التناسلية والعملية الجنسية وألفاظ الموت والأمراض والكوارث وغيرها، ويرى أنه "تقوى هذه الظاهرة في البيئات البدائية حيث يلعب التفاؤل والتشاؤم والتطير دورا خطيرا في حياة الناس، ولكن أثرها يبدو في كل لغة وفي كل مكان أو زمان".[26] ويشير إلى أن هذه الظاهرة تؤدي إلى التغير الدلالي للكلمات، فقال: "ويترتب على كل ما تقدم أن ألفاظ تحل نحل أخرى، وأن بعض كلمات اللغة تكتسب دلالات جديدة وتنتقل إلى مجال غير الذي عرفت به وشاعت فيه".[27]

03-عوامل الحظر اللغوي: ثمة أسباب متعددة تقف وراء جعل معين من المحظور اللغوي في اللغة العربية ويمكن ارجاع هذه الأسباب إلى الثقافة العربية الإسلامية، وذلك أنّ اللغة تتأثر بحضارة الأمة ونظمها وتقليدها وعقائدها واتجاهاتها. كما أن مفاتيح الثقافة تشكل جزءا من الوعي الثقافي للجماعة اللغوية.[28] وتلعب الثقافة دورا مهما في صناعة المحظور اللغوي. ويبدو هذا واضحا من خلال العوامل الآتية:

3-1العامل النفسي: يعد فرويد رائدا في دراسة المحظور النفسي "وقد ربط المحظور بالشعوب البدائية أو المتوحشة، خاصة في تعاملهم مع الأعداء والحكام ونظرتهم إلى الأموات".[29] والحق أن المحظور اللغوي من الظواهر اللغوية المرتبطة بالإنسان في كل المجتمعات واللغات وفي كل مراحل تطوره، بداية من الحقبة البدائية حتى الآن، ويمكن استجلاء العامل النفسي للمحظور اللغوي في اللغة العربية من خلال الجوانب النفسية الآتية:

-**الخوف:** عندما يفزع الإنسان من شيء يهرب من التصريح باللفظ المباشر الدال عليه، فيكون هذا اللفظ محظورا لغويا، وفي الوقت نفسه يتم اللجوء إلى التعبير عنه بلفظ محسن، وهذا يفسر كثرة الألفاظ الدالة على الموت والقتل والمرض أي أن "الناس عادة ينفرون من الألفاظ المثيرة لمشاعر الاشمئزاز والخوف وهم بذلك يعدلون غن استعمالها إلى استعمال ألفاظ أخرى".[30] وبناء على ذلك فكلمة الموت أو الهلاك تستبدل بها كلمات وعبارات وجمل أخرى محسنة نحو: توفي، توفاه الله، انتقل إلى جواره، انتقل إلى رحمة الله، أسعده الله بجواره، نقله الله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، وكتب له سعادة المحتضر، اختار الله له النقلة من دار البوار إلى خل الأبرار.[31]

-**التشاؤم والتفاؤل:** يلعب دورا مهما في ترك المحظور اللغوي واستعمال نحسن لفظي بدلا منه، إذ أنّ "التفاؤل والتشاؤم من الغرائز الإنسانية التي تؤثر في العادات الكلامية للناس، وهي ذات أثر في التغير الدلالي. إذ بتشاؤم المرء من ذكر اللفظ السيء للمعنى ليدل عنه إلى لفظ آخر حسن المعنى، فيقولون: فلان بعافية، وهو يريدون أنه مريض تجنبا لذكر المرض".[32]

كما يبين الجرجاني أثر التشاؤم والتفاؤل في الحظر اللغوي في حديثه عن "ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو أجمل منه، كقولهم: لعق فلان إصبعه، واستوفى أكله، ولحق باللطيف الخبير، يكنون به عن الموت فعدلوا هذه الألفاظ تطيرا من ذكره بلفظه، وكقوله للمهلكة: مفازة تفاؤلا بذكرها".[33]

ولعل ما يندرج ضمن هذا المضمار مل يتعلق بالأسماء العربية المستهجنة والمستحسنة فقد قيل: "ما بال العرب سمت أبنائها بالأسماء المستشنجة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة؟. فقال: لأنّها سمت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها.[34]

لقد كان العرب يسمون عبيدهم بأسماء حسنة تفاؤلا بها، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تسمية الأولاد ببعض الأسماء المحظورة.

-**الحياء:** يتحاشى أبناء الجماعة اللغوي المحظور اللغوي الدال على الأمور الجنسية والقذارة والدنس منعا للحرج، ويقومون باستعمال محسن لفظيا لكل لفظ من هذه الألفاظ، من ذلك استعمال المحسن اللفظي عُسيلة بدلا من المحظور اللغوي الدال على الجماع، في قول الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما طلق

رفاعة القرظي زوجته ثم تزوجت بعد الرحمن بن الزبير، ثم شكته إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلة: إنّ الذي منه كهدبة الثوب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتريدين أن تراجعي رفاعة؟ لا، حسبي تذوق عُسيلته ويتذوق عُسيلتك"[35] ومن المحسنات اللفظية القرآنية الخاصة بالجماع نحو: باشروهن، تغشاها، أفضى بعضكم إلى بعض، تقربوهن، لامستم النساء.

3-2-العامل الاجتماعي: يتمثل هذا العامل في العادات والتقاليد والقيم والمبادئ العربية الإسلامية التي تدفع نحو نجنب استخدام لفظ معين، وتفضيل استعمال لفظ آخر بديل عنه، أي تؤدي إلى استخدام محسن لفظي وتحاشي محظوره اللغوي وقد أشار فندريس أن الأسباب الإجتماعية "واضحة جدا في تغير الكلمات مراعاة للباقة إذ ليس من اللائق أن يتكلم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بألفاظه أو بأنها مما يحرج الحياء. وتستبعد الألفاظ التي تعبر عنها من بين المفردات التي يستعملها الأشخاص المهذبون، فالتعبير عن هذه الأفعال عبارات متنوعة تبقى مستعملة حتى تصير بدورها خشنة وجارحة للآذان. لذلك لم نستبق نحن كلمة واحدة من مشتقات الفعل اللاتيني (minere) (يبول) والفعل (pisser) لم يعد هو الآخر يستعمل في مجتمع راق، بل يستعاض عنه بالفعل (Uriner) الذي هو أقل منه خشونة... والذي يقطع بكون الكلمة لائقة أو غير لائقة إنما هو الصرف".[36]

ومن العادات والتقاليد الإسلامية المحافظة على المرأة حتى على المستوى اللغوي، بحيث يتم يجنب ذكر اسمها، ويتم اللجوء إلى ألفاظ بديلة تعد محسنات لفظية مثل: الجارة، القارورة، العتبة والحرث والنعجة والشاة والسرحة والعراش وغيرها،[37] وهذه العادة مستمرة حتى الآن في بعض مجتمعاتنا العربية، إذ أنه من المحظور التلفظ باسم المرأة سواء كانت زوجة أو أمًا...

3-3-العامل اللغوي: ثمة أسباب لغوية تؤدي إلى حظر لفظ واستعمال محسن لفظي بديل عنه في سياق ما، ولعل أهم هذه الأسباب يتمثل في الابتذال واللهجات.

-الابتذال: ويقصد به كثرة استعمال اللفظ بحيث يتحول إلى محظور لغوي وهذا ما حدث مع الألفاظ المرتبطة بالقذارة والنجس. مثل كلمة: البرجور التي انحدرت من معنى الحشيش من البر أو البربر بمعنى صوت الماعز وكثرة الكلام والجلبة والصياح. فقد تم الاستعاضة عنها بكلمة أخرى وهي المخاط نتيجة ابتذالها وكذلك الحال مع كلمة المدة التي حلت محلها كلمة الصديد.[38]

-اللّهجات: يختلف الحظر اللغوي للألفاظ من لهجة عربية إلى أخرى، فقد تكون محظورة في إحدى اللهجات، ولا تكون محظورة في لهجة أخرى، فمثلا: كلمة (زبطة) محظورة في اللهجة المغربية في حين أنها في اللهجة المصرية غير محظورة لأنّها تدل على الصوت العالي أو الفرحة، وكلمة (خليقة) محظورة في اللهجة الليبية حيث تعني قبيح الوجه أو قبيحة الوجه، في حين أنها غير محظورة في اللهجة الجزائرية حيث تستخدم للدلالة على المرأة دون تحسس من استعمالها بوصفها محسنا لفظيا للمرأة.

3-4-العامل السياسي: قد تؤدي أسماء ساسة إلى حظر ألفاظ وإحلال أخرى محسنة محلها، ومن ذلك ما حدث عند مخاطبة الحكام "عندما دخل سعيد بن مرة إلى معاوية فقال له: أنت سعيد بن مرة؟ فقال: أنا ابن مرة وأنت السعيد".[39]

ومما حكي أنّ "المنصور كان في البستان وكان معه الربح، فقال: ما هذه الشجرة؟ قال شجرة الوفاق يا أمير المؤمنين، وكانت شجرة الخلاف، وقريب منه ما حكي أن الرشيد كان في يده خيزران، فقال لبعض أصحابه: ما هذا؟ فقال: أصول الثنايا يا أمير المؤمنين وتجنب أن يقول الخيزران".[40]

وقد يكون الحظر اللغوي لبعض الألفاظ بأنها عن الثورات، "فكثير من دواعي تجنب بعض العبارات والكلمات وإخفائها راجع إلى الثورات".[41] فبعد ثورة يوليو 1952 تم إلغاء الألقاب في مصر، مما أدى إلى حظر ألقاب كانت ذات بريق ساطع مثل: الأمير، صاحب السمو، الباشا، الملك، الأفندي، وحل محلها لفظ السيّد".[42] وعند قيام اللفظ أمام الجمهور اختفت من مصر كلمة المملكة وحل محلها لفظ الجمهورية.

3-5-العامل الديني: يحض الدين الإسلامي على اِستخدام الألفاظ المحسنة إلاّ إذا اقتضى السياق استعمال محظور لغوي، وذلك لأنّه: ﴿**ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد**﴾ **[ق: الآية18]**، فقد بيّن الله تعالى في القرآن أنّ هناك ما لا يرضاه من القول، حيث قال: ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول** ﴾**[النساء: الآية108]**، وقد دعى الله تعالى المؤمنين إلى استعمال لفظ وترك آخر في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا عنا وقولوا انظرنا**﴾ **[البقرة: الآية204]**، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال ألفاظ أخرى كلفظي التحية: أنعم صاحبا، وأنعم ظلاما، والآن تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهي تمثل محسنا لفظيا لتحية الجاهلية.

4-نبذة عن حياة ابن دريد:

4-1-حياته[43]: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن العتاهية بن حَنْتَم بن الحسن، وينتهي نسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، الأزدي العماني، البصري اللغوي.

ولد في البصرة سنة 223هـ، على ما ذكرت معظم المصادر، وكانت أسرته تسكن عمان قبل أن تنتقل إلى البصرة، وقد وصفت المصادر هذه الأسرة بأنهم رؤساء أهل عُمان ومن ذوي اليسار فيهم. وقد نشأ بن دريد فيما يبدو يتيما، حيث تذكر المصادر أنه نشأ في كفالة عمه الحسين بن دريد، وكان عمه هذا ووالده من العلماء، حيث قام بتربيته، وأحضر له الأساتذة ليقوموا بتعليمه وتربيته. وقد عمر ابن دريد طويلا، حيث امتدت حياته نحو قرن من الزمان، وكان مولده ومنشؤه بالبصرة.

وابن دريد واحد من أشهر أعلام التراث العربي الإسلامي الذي أثروه بما أبدعوا من آثار قيمة في اللغة والآداب، وهو واحد من الأعلام القلائل الذين جمعوا إلى جانب العلم باللغة –دراية ورواية- القدرة على الإبداع الفني في نثر الكلام وشعره.

وبما أن ابن دريد يعد من المعمرين حيث امتدت حياته نحو قرن من الزمان فلا شك أن هذا العمر المديد قد حفل بصنوف النضج المتعددة، وامتلأ بالخبرات الطويلة، وشحن بالثقافات الكثيرة، وصهر بالحوادث العديدة. وفتق بالمؤثرات المتنوعة، حيث كانت حياته ممتدة خلال القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين.

وقد توالت مؤثرات كثيرة أسهمت في صبغ الحياة في عصر ابن دريد وقبله ويعده بطابع معين، في مختلف جوانب الحياة: السياسية والإجتماعية والعقلية والعلمية والثقافية والأدبية وغيرها، مما أدت إلى انعكاس تلك المؤثرات على حياة ابن دريد فاصطدمت حياته وفكره وعاطفته وخياله وتجربته ونتاجه عامة بطابع تلك المؤثرات المتعددة.

4-2-منزلته العلمية[44] :احتل ابن دريد مكانة علمية رفيعة وشهد له بفضله وحفظه وبعظيم قدره في اللغة والأدب والشعر والأنساب، قد وصفه المسعودي (ت 346ﻫ) بقوله: "كان ممن بدع في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها". وقال فيه أحمد بن يوسف الأزرق: "ما رأيت أحفظ من ابن دريد، ما رأيته قرئ عليه ديوان إلاّ وهو يسابقه في قراءته"، أما أبو الطيب اللغوي (ت 351ﻫ) فقال عنه: "هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علما، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر واحد ازدحامهما في خلف الأحمر وابن دريد، وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة". كما عده أبو بكر الزبيدي (ت 379ﻫ): "أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها". وذكر المرزباني (ت 384ﻫ) أنّه "كان رأس أهل العلم، والمتقدم في الحفظ واللغة والأنساب، وأشعار العرب وهو عزيز في الشعر كثير في الرواية". أما القفطي (ت 646ﻫ) فقال عنه: "الإمام العلامة اللغوي، الإخباري الفاضل الكامل، الشاعر، شيخ المشايخ، فريد الوقت، نادر الدهر، الإمام الأمصار، كان رأس أهل العلم، والمقدم في اللغة وأشعار العرب، وهو غزير الشعر والرواية". وقال فيه الخطيب البغدادي (ت 426ﻫ)، كان واسع الحفظ جدا تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ويحفظها".

4-3-رحلاته: كان لرحلات ابن دريد أثر كبير في ثقافته وسعة علمه، قال ابن النديم: "أقام بالبصرة، ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة، ثم صار إن جيرة ابن عمر فسكنها مدة، ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد فنزلها".[45]

وذكر الخطيب البغدادي: "نشأ بعمان وتنقل في جزائر البحر، والبصرة وفارس وطلب الأدب وعلم النحو واللغة... وورد بغداد بعد أن انثن فأقام بها إلى آخر عمره".[46]

وقد ذكر ياقوت الحموي: "ثم صار إلى عُمان فأقام بها مد ثم صار إلى جزيرة ابن عمر، ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات".[47]

وقال ابن خلكان: "ثم انتقل إلى البصرة مع عمه الحسين عند ظهور الزنج... وسكن عمان وأقام بها اثني عشرة سنة ثم عاد إلى البصرة وسكنها زمنا ثم خرج إلى نواحي فارس... ثم انتقل من فارس إلى بغداد سنة ثمان ثلاثمائة... و لما وصل إلى بغداد أنزله علي بن محمد بن الحواري في جواره وأفضل عليه، وعرف الإمام المقتدر خبره ومكانه من العلم، فأمر أن يجري عليه خمسون دينارا في كل شهر. ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته".[48]

4-4-مصنفات ابن دريد: رزق ابن دريد سعادة وحظا في التصنيف، فقد ألّف الكثير من الكتب، وفي مجالات مختلفة: كالشعر والنحو واللغة، والقرآن. وقد أعطته هذه المؤلفات شهرة واسعة أوصلته إلى قصر الخلافة، إذ رتب له الخليفة معاشا شعريا كان يتقاضاه حتى وفاته. ومن ناحية ثانية أكسبته أعداء وحسادا ناصبوه العداء وهجوه هجاء مرا كنفطويه.

لقد حفظت الأيام معظم كتبه، فوصلت إلينا، وعدت العوادي على البعض الآخر فلم يصل وها هو ثبت ما أشارت إليه مصادر ترجمته، أو أشار هو إلى بعضها في ثنايا كتبه وكثير منها في عداد المفقود في زماننا العربي.

ومن تلك الكتب أدب الكاتب، والاشتقاق، والأمالي، والأنبار، والأنواء، والبنون، والنبات، والتوسط، وتقويم اللسان، وجمهرة اللغة، والخيل الصغير، والخيل الكبير، وذخائر الحكمة، وروّاد العرب، والسرج واللّجام، والسلاح، وغريب القرآن، وفعلت وأفعلت، والفوائد والأخبار، واللغات في القرآن،وما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا، والمتناهي في اللغة، والمجتنى، والمقتبس، والمثنى، المقصور والممدود، والمقصور، والملاحن، والوشاح، وهذه الآثار معظمها مفقود.

4-5-وفاته: توفي ابن دريد في بغداد وتتق كتب التراجم أنّ وفاته كانت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان ويقول المرزباني أنه دفن بالمقبرة المعروفة بالعباسة من الجانب الشرقي من ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم، وفي وفاته يقول القفطي: "لما توفي ابن دريد حملت جنازته إلى مقبرة الخيزران ليدفن فيها. وكان قد جاء في ذلك اليوم طش مطر، وإذا بجنازة أخرى مع نفر قد أقبلوا بها من ناحية باب الطاق، فنظر الناس فإذا هي جنازة أمي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزل، فقال الناس اليوم مات علم اللغة والكلام".[49]

5-جمهرة اللغة: بلغ ابن دريد قمة الإبداع في كتابه، فهو كتاب من مشاهير كتب اللغة، كتاب مفيد، جليل، جمع فيه معظم اللغة، لذا فهو مرجع أهل الأدب.

ألف ابن دريد الجمهرة لأبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أملاها في فارس ثم البصرة ثم بغداد من حفظه.

قال ابن دريد في خطبة هذا الكتاب: "ولم أجد في إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا ولا الطعن في أسلافنا، وأنّى يكون ذلك، وإنّما على مثالهم نحتذي وبسيلهم نقتدي وعلى ما أصلّوا نبتني".[50]

وقد ألّف ألو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، عنّى من سما إلى نهايتها، فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلّف وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد ولكنه –رحمه الله- ألف كتابه مشاكلا فهمه، وذكاء فطنته، وحدة أذهان أهل دهره إلى أن يقول: "وسميناه كتاب الجمهرة" لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي المستنكر.[51]

لقد اختار ابن دريد نهجا متميزا في تصنيفه هذا الكتاب، هذا النهج الذي يخالف الطرق الرائجة في كتب اللغة، وهو أنّه شرع بمادة واحدة، وكتب كلّ المواد التي تحصل من تلك الأحرف بتقليبها مرةً أو مرارا. مثاله أنّه كتب مثلا (ف ل ي)، فكتب لفظ (الفيل) و(اللّيف) في تلك المادة، أو أورد مادة (ب ض ر) فكتب لفظ (بَضَرَا) و(ضَرَبَ) و(رَبَضَ) و(بَرَدَ) فيجده في مادة (بَدَرَ) لأن الدال قبل الرّاء.

ومما جاء تحت مادة (بَ ش ش). "بَشّ به بشًا وبشاشة، إذا ضحك إليه ولقيه لقاء جميلا. وبنو بشة بطن من العرب من بني العنبر. واستعمل من معكوسها: شبَّ الغلام شبابا. وأشبَّ الرجل، إذا كان له بنون –وأشبَّ الثور- إذا كمل سنه، وشبَّ الفرس شِبابا، وشبَّت النار شُبوبا وشُبًّا، وأشبَبْتُها أنا إشبابا، وقد مضى المثل (من شبِّ إلى أدب). والشبُّ ضرب من الدواء معروف عند العرب. قال الشاعر:

ألا ليت عَمِّي يوم فُرِّق بيننا سُقَّى السَّمُّ مَمْزُوجًا بيشَبِّ يمان[52]

مُذ ألف الجمهرة عكف العلماء عليها بالدرس والحفظ والإحتصار، وأول من ألّف في ذلك ألو عُمر الزاهد غلام ثعلب، وكان واسع الرواية، استدرك ما فات ابن دريد وسمّاه (نشر شواهد الجمهرة)، أمّا الصاحب بن عباد، فقد اختصر الجمهرة في كتاب سمّاه (جوهرة الجَوْهرة). يقول في آخره:

لمّا فَرَغْنا من نظام الجضوْهَرَة
اعْوَرت العين ومات الجمهرة
ووقَف التَصْنيف عند القَنْطَرة [53]

ومما لا يختلف فيه اثنان أنّ ابن دريد استقصى مفردات اللغة العربية حتى بلغ أقصاها في البحث والاجتهاد والتدقيق، يكثر من المترادفات، ويولّد المعاني وكأنّه أمام مسألة حسابية يجمع ويطرح ويعطي النتيجة.

وهذا يدل دلالة صريحة على قوة الإبداع التي تكمن في ثنايا عقله وذهنه، من تطوير وتجديد وحسن تصريف بالإضافة إلى غزارة هذه الألفاظ وتنوعها.

06-أمثلة عن المحظور اللغوي في جمهرة اللغة:

-**العامل النفسي:** إنّ المحظور اللغوي من الظواهر اللغوية المرتبطة بالإنسان في كل المجتمعات وفي كل مراحل تطوره بداية من الحقبة التاريخية حتى الآن، ويمكن استجلاء العامل النفسي للمحظور اللغوي من خلال الجوانب الآتية:

+**الخوف:** عندما يفزع الإنسان من شيء يهرب من التصريح باللفظ المباشر الدال عليه فيكون هذا اللفظ محظورا لغويا، وهذا يفسر كثرة الألفاظ الدالة على الموت والقتل والمرض ومما أورده ابن دريد في جمهرته ما يأتي:

الموت: قال: "يقال: مات الرجل وهلك وعكا ونفض وذّيق وهَرْوَز وفوَّز وترز وعَصَدَ وقَرَض الرّباط، وقالوا: فطس أيضا وطَفِس وقَفَزَ وألقى الأحامس وفاظ، وهذا كله يوصف به الموت".[54]

وأورد أيضا: "ويقولون: مِتُّ ومُتُّ ودِمتُ ودُمتُ، فمن قال مِتُّ قال يَمات، قال الراجز:

بنيّ يا سيّدة البنات

وفي هذه الأرجوزة:

عيشي ولا يَوْمي بأن تَماتي [55]

لقد جعل ابن دريد الموت بدائل كثيرة منها: هَلَكَ، فَأَدَ، عَكَا، خَفَضَ، دَنَّقَ هَرْوَزَ، فَوَّزَ، تَرَز، عَصَدَ، قَرَضَ الرباط، فَطَسَ، طَفِسَ، قَفَزَ، ألقى الأحامس، فاظ، وكلها تدل على الموت، كما وجدت كلمات أخرى في العصر الحديث للدلالة على الموت نحو: (توفي، فاضت روحه، انتهى...) أو غير ذلك من الألفاظ أعّل أثرا في النفوس.

وذكر ابن دريد في مادة (جَرَف): "الجَرْف: مصدر جَرفْت الشيء أجرِفه ولأجرُفه جَرْفًا إذا أخذته أخذا كثيرا، وبه سمي الموت الجارف. إذا اشترف الناس، والسيل الجارف لأنّه يجترف ما على الأرض".[56]

من خلال النص نلاحظ أنّ ابن دريد ذكر (الجَرَف) وهو كناية عن الموت الجارف فهو معنى مجازي من المعنى الحقيقي وهو مرض الطاعون والدليل على ذلك ما ورد في اللسان في مادة (جرف). "والطاعون الجارف الذي نزل بالبصرة كان ذريعا فسمي جارفا، جرف الناس كجُرف السيل".[57]

وذكر الجوهري: "طاعون كان في زمن ابن الزبير، وذكره في الحديث، طاعون الجارف".[58]

ذكر ابن دريد في مادة (فلج): "كل شيء شَقَقْتَه بنصفين فقد فلجته ولذلك قيل: فُلِجَ الرجل، إذا ذهب نصفه، والفالج البُخْتي العظيم الخلق، عربي صحيح، قال الراجز:

لو لقي الفَالجُ عمَّ الفالجَا
أو هاله الفالجُ أن يعالجَا [59]

يتعين من خلال نص ابن دريد أنّ الفلج هو تقسيم الشيء إلى شقين، ومنه فُلج الرجل إذا ذهب نصفه بمعنى مرض مرضا جزئيا، وهو مرض يصيب أحد شقي البدن، وهذا ما أورده صاحب التاج في مادة (فلج): "والفالِجُ مرض من الأمراض يكون من استرخاء أحد شقي البدن طولاً"[60]. وذكر ابن دريد في مادة(كلب): "والكُلُب: داء يصيب الناس والإبل كالجنون".[61]

يتضح مما سبق أن ابن دريد يحدد نوع المرض بدقة حيث قال (يصيب الناس والإبل كالجنون) وفي المقابل ذلك نجد صاحب التاج يذكر في مادة (كلب) "وأم كلبة: الحمى، لشدة ملازمتها الإنسان وأضيفت إلى أنثى الكلاب"[62] فالزبيدي ذكر نوع من المرض وهو الحمى التي تصيب الإنسان وغيره.

الخجل: ويشمل ما يتصل بالجنس والعورات والمحارم، "فالعربي يخجل مثلا من ذكر الأسم الصريح لزوجته وبناته، وإذا اضطر إلى ذلك استخدم البدائل مثل: بنت عمي، وأهل بيتي، وعيلتي... المتنبي مثلا رثى أخت سيف الدولة أمير حلب فلم يذكر اسمها الصريح بل قال:

كأن (فعلة) لم تطرق مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تلهب

فالمتنبي استخدم الوزن الصرفي (فعلة) بدلا من الاسم الحقيقي (خولة)".[63]

وقد أورد ابن دريد: "وامرأة الرجل بيته. قال الراجز:

مالي إذا أجذِبُهَا صَأيْتُ
أكَبِرُ قد غالني أم بَيْتُ

يريد بالبيت المرأة.[64]

فقد استعمل ابن دريد كلمة (بيت) كناية عن المرأة، فكان عندما يسأل العربي عن اسم أمه أو أخته أو زوجته بشعر بغضب ويحس بالحرج لذلك نجدهم يستعملون بدائل أخرى. كما يتضح الخجل في حالة استعمال الألفاظ التي تتصل بالجنس.

-أورد ابن دريد: "السوءة كناية عن العورة".[65] وأورد في موطن آخر: "الفَرَج: الثغر بين موضعي المخافة والأمن والفَرَج: يكنى به عن قبُل المرأة والرجل".[66]

نلاحظ أنّ ابن دريد استعمل للعورة مصطلحات وبدائل كثيرة ويعود هذا إلى الحياء في استعمال هذه المصطلحات بين الجماعات اللغوية لذلك اعتبرناها من المحظورات اللغوية وأوردها أيضا: "قال أبو بكر الزُبُّ في لغة أهل اليمن اللحية، والزُبُّ: ذكر الإنسان عربي صحيح. وأنشد:

قد خَلَفْتَ بالله لا أحِبُّه
إن طال خصياه وقَصُرَ زُبُّهُ [67]

وقد نهى ابن دريد عن استعمال هذه المصطلحات (المحظورات)، فقال: "ونُهي عن التوشية، وهو أن يحرك الرجل ذكره"[68]. وقد كان القرآن الكريم في غاية الحشمة. إذ لم يعبّر بصريح العبارة عن العملية الجنسية، وكذلك فعل ابن دريد في جمهرة اللغة فنجده يذكر:

-**الحَرْث:** النّكاح هكذا فسر في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ **نساؤكم حرث لكم**﴾ **[البقرة: الآية223]**[69]، ويقال أيضا: "بات الرجل يَهْرج المرأة ويَهْرِجُهَا، كناية عن النكاح".[70] وذكر أيضا: "اللَّعْز: كناية عن النكاح، بات يلعزها".[71]

يتبين من خلال النصوص أنّ ابن دريد استعمل بدائل أخرى للنكاح نحو: (الحَرْث، اللّعز، يهرج)، وهناك مصطلحات أخرى استعمل ابن دريد منها: (المطْر، العفْز).

-" الرَفثَ: أتقول الرَفَثَ وأنت مَحرم؟ فقال: ليس بين الرجال رفَث، كأنّ الرفث عنده حديث النّساء بالجماع ونحوه"[72].

فنجد عامة الناس يطلقون عليها تسميات مختلفة منها: "النوم: الاستحمام والاجتماع وأصبحوا يتحاشون كلمة (النكاح) التي لم تكن تعني سوى الزواج، ثم ارتبطت في أذهان العامة بالعملية الجنسية ارتباطا وثيقا، وكانت لا تستعمل إلاّ عن طريق الكناية المقبولة لدى العرب القدماء" [73].

ومن الأمور اللطيفة أنّ الزبيدي صاحب معجم (تاج العروس) تحدث عن عضو المرأة، ولم يدع بيتًا من الشعر إلا وأورده ولا قولا فيه إلاّ رواه، ثم شعر بالخجل فاعتذر للقارئ عمّا صنع.

– **التشاؤم والتفاؤل:** يلعب التفاؤل والتشاؤم دورا مهما في ترك المحظور اللغوي واستعمال بدائل أخرى. "إذ أنّ التفاؤل والتشاؤم من الغرائز الإنسانية التي تؤثر في العادات الكلامية للناس، وهي ذات أثر في التغير

الدلالي، إذ يتشاءم المرء من ذكر اللفظ السيء المعنى ليعدل عنه لفظ آخر حسن المعنى، فيقولون: فلان بعافية وهم يريدون أنّه مريض، تجنبا لذكر المرض" [74].

ومن الأمثلة التي أوردها ابن دريد في جمهرته في هذا الشأن:

- "رجل عَزْقٌ: سيء الخلق" [75].
- "فرطيس: وفنطيس واحد: وهو أنف الخنزير، يقال للرجل عريض الأنف أيضا: فِنْطيس" [76].
- الشَّفَنَّج: الطويل الرِّجلين" [77].

وخلاصة القول ما ذكره السيوطي في معرفة أغلاط العرب حيث قال: "إنّما دخل هذا النحو كلامهم، لأنّهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يستعصمونها، وإنّما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد" [78].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه الألفاظ بذاتها لا يمكن أن تصنّف أنّها بذيئة لأنّها ليست سوى تجمع للأحرف، ونحن لا نعرف لماذا تعد كلمة (السوءة) مثلا من المحظور اللغوي، على حين تعد كلمة (العورة)مقبولة بدليل استخدام اللغويين لها في الكتب والمؤلفات، فيرى بعض اللغويين أن ذلك يرجع لأسباب دينية أو اجتماعية وحتى نفسية.

هوامش البحث:

[1]: لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار الفكر، بيروت، 702/1، مادة (حظر)، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، طبعة إحياء التراث العربي، بيروت، مادة (حظر).

[2]: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، طبعة إحياء التراث العربي، بيروت، مادة (حظر).

[3]: لسان العرب، ابن منظور، مادة (حظر).

[4]: ينظر: المحظورات اللغوية، منازل الرؤية ومسالك التطبيق، حسن خميس الملخ، سلمى فتحي نعجة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2015، ص19، 20.

[5]: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعهجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية: 1985، ص411، مادة (المحرَّم).

[6]: المرجع نفسه، ص413، مادة (المحظورات).

[7]: معاني القرآن، الفرّاء، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية، القاهر، ج02/362.

[8]: التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، عصام الدين عبد السلام محمد إبراهيم أبو زلال، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1422/ 2001، ص07.

[9]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[10]: الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى: 1420/ 1999، ج03/ 203.

[11]: المرجع نفسه، ج02/ 856، 857.

[12]: الصاحبي في فقه اللغة وسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1: 1414/ 1993. ص255.

[13]: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق: خالد فهمي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1: 1418/ 1998، 2/ 671.

[14]: ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[15]: الكناية والتعريض، الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1405/ 1984.

[16]: المرجع نفسه، ص 03.

[17]: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1405/ 1984، ص 5، 6.

[18]: المرجع نفسه، ص4، 5.

[19]: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1404/ 1984، 02/ 302.

[20]: المرجع نفسه، 02/ 304.

[21]: ينظر: التعبير عن المحظور اللغوي في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، عصام الدين عبد السلام، ص24.

[22]: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997، ص305.

[23]: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، محمود السعران، دار المعارف، الإسكندرية، 1963، ص129.

[24]: ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

[25]: مقدمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث، أحمد محمد قدور، عالم الفكر، الكويت، ص20.

[26]: دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط5: 1985، ص143.

[27]: المرجع نفسه، ص145.

[28]: ينظر: اللغة والمجتمع، عبد الواحد وافي، دار النهضة العربية، القاهرة، ص10، 88.

[29]: التعبير عن المحظور اللغوي في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، عصام الدين عبد السلام، ص26.

[30]: المرجع نفسه، ص27.

[31]: ينظر: الكناية والتعريض، الثعالبي، ص62.

[32]: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمود، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، ط1، 2001.

[33]: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، الجرجاني، ص65.

[34]: الاشتقاق، ابن دريد، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1: 1411/ 1991، ص54.

[35]: الكناية والتعويض، الثعالبي، ص11.

[36]: اللغة، فندريس، تر: عبد الحميد الدوخي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1950، 280.

[37]: الكناية والتعريض، الثعالبي، ص8،5.

[38]: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص141.

[39]: التعبير عن المحظور اللغوي في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، عصام الدين عبد السلام، ص71.

[40]: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ص21.

[41]: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، محمود السعران، محمود السعران، ص129.

[42]: ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص240.

[43]: تاريخ بغداد، 195/02، مروج الذهب، 04/ 320، بغية الوعاة، 01/ 76، معجم الأدباء، 18/ 127، وفيات الأعيان، 03/ 448.

[44]: مراتب النحويين، 04/ 84. معجم البلدان، 06/ 2490، طبقات النحويين واللغويين، ص184، نزهة الألباب، ص 193، تاريخ بغداد، 02/ 196.

[45]: الفهرست، ابن النديم، تحقيق: رضا علي بن زين العابدين المازنداني، دار النشر، طهران، 1350/ 1975، ص67.

[46]: تاريخ بغداد، 02/ 195.

[47]: معجم الأدباء، 05/ 296.

[48]: وفيات الأعيان، 04/ 325، 326.

[49]: جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1426/ 2005، 01/ 08.

[50]: المصدر نفسه، 01/ 18، (المقدمة).

[51]: المصدر نفسه، 01/ 18، (المقدمة).

[52]: المصدر نفسه، 01/ 51، مادة (ب ش ش).

[53]: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1431/ 2010، 01/ 96.

[54]: جمهرة اللغة، 02/ 745، 746.

[55]: المصدر نفسه، 02/ 786.

[56]: المصدر نفسه، 01/ 521، مادة (جرف).

[57]: لسان العرب، 01/ 602، مادة (جرف).

[58]: الصحاح، الجوهري، 04/ 1336، مادة (جرف).

[59]: جمهرة اللغة، 01/ 556، مادة (فلج)

[60]: تاج العروس، الزبيدي، 06/ 159، مادة (فلج).

[61]: جمهرة اللغة، 01/ 407، مادة (كلب).

[62]: تاج العروس، 04/ 174، مادة (كلب).

[63]: الظواهر اللغوية الكبرى في العربية، عبد الرحمن دركزللي، دار الرفاعي، دار القلم العربي، طبعة الأولى: 1427/ 2006، ص134.

[64]: جمهرة اللغة، 01/ 247، مادة (ب ت ي).

[65]: المصدر نفسه، 01/ 221، مادة (س أ و ي).

[66]: المصدر نفسه، 01/ 522، مادة (ج ر ف).

[67]: المصدر نفسه، 01/ 49، مادة (ب ز ز).

[68]: المصدر نفسه، 2/ 242، مادة (ش و ي).

[69]: المصدر نفسه، 1/ 459، مادة (هرج).

[70]: المصدر نفسه، 1/ 531، مادة (هرج).

[71]: المصدر نفسه، 1/ 151. مادة (ل ع ز).

[72]: جمهرة اللغة، 1/ 466، مادة (رفث).

[73]: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص142.

[74]: التعبير عن المحظور اللغوي في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، عصام الدّين عبد السلام، ص67.

[75]: جمهرة اللغة، 2/ 150، مادة (ع ز ق).

[76]: المصدر نفسه، 2/ 638.

[77]: المصدر نفسه، 2/ 746.

[78]: المزهر في علوم اللغة، السيوطي، 2/ 395.